

تاريخ القرآن

(14) () ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعلمون * (1). كان هذا وذاك يستدعي الوقوف فترة زمنية عند رعاية الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوفيق بين واجباته القيادية، وحياته الاعتيادية، فأمام المنافقين نجد الحذر واليقظة يتبعهما الإنذار النهائي باغرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم، وعند الحادثتين التاليتين نجد الوحي حاضرا في اللحظة الحاسمة، فيسليه في الأولى بأن أكثر هؤلاء لا يعقلون، ويعظمه في الثانية بجعل مقامه متميزا، فلا يخاطب إلا بصدقة، ولا يسأل إلا بزكاة. وما زلنا في هذا الصدد فإننا نجد الوحي رفيقا أميناً لهذا القائد الموحى إليه، من هذه الزاوية التوفيقية بين التفرغ لنفسه، والتفرغ لمسؤولياته، وهذا أهم جانب يجب أن يكشف في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والكشف عنه إنما يتم بدراسة حياة النبي الخاصة مرتبطة بهذه الظاهرة، وهي ظاهرة الوحي الإلهي، ومدى الاتصال والانفصال بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحاجته الملحة إلى هذا الشعاع الهادي، منذ البدء وحتى النهاية. لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعا من الرسل، ولم يختص بالوحي دونهم، بل العكس هو الصحيح، فقد شاركهم هذه الظاهرة، وقد أوحى إليه كما أوحى إليهم من ذي قبل، قال تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيناهم كتبنا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) (2). فقد هدفت الآية وما بعدها إلى بيان حقيقة الوحي الشاملة للأنبياء عليهم السلام كافة، ممن اقتص خبرهم وممن لم يقتص، وإيثار موسى بالمكالمة وحده. ويبقى التساؤل قائما: بماذا تفسر هذه الظاهرة، وكيف تعلل نفسيا؟ وكيف تنطبق كونيا، وكيف عولجت قرآنيا؟ وهل هي حقيقة تنطلق من ذات _____ (1) المجادلة: 13. (2) النساء: 163 - 164.